

تحذير من الضلالات

سبق وأن تحدثنا أنه عبر تاريخ الكنيسة، كانت هناك محاولات عديدة لشرح عقيدة الثالوث، بطريقة يسهل فهمها. فأحياناً حاولوا تبسيطها، بأسلوب يسهل على الناس تصديقها، لكنهم في كل مرة، لم يتوخوا الدقة، في تقديم ما يعلمه الكتاب المقدس. كانت النتيجة، عقيدة للثالوث ليست كتابية. وعندما نحاول تدعيم عقيدة الثالوث، في العصر الحالي، فإن نفس الخطر يهددنا؛ لذا فمن الأفضل أن يشتمل هذا الفصل، على حصر موجز للضلالات الرئيسية، التي وقع فيها السابقون. هذا يعني أن نتخذ الخطوات اللازمة، لتجنب خطر الوقوع فيها. تقع الضلالات أساساً في ثلاث مجموعات رئيسية، (ولقد سبق التنويه عن هذا الأمر في الفصل السادس لكننا سنتناوله هنا بأكثر تفصيلاً) وكل مجموعة منها تمثل هجوماً، على أحد المقومات الأساسية لعقيدة الثالوث، وتؤدي إلى إفساد الحق أو إنكاره:

1- الثالوث ثلاثة آلهة Tritheism :

وهذا هو الفشل في التمسك بوجود إله واحد فقط. لقد تمسك اليهود بإصرار، بوحداية الله. هذا الإصرار، انتقل إلى الكنيسة المسيحية، فكان من النادر أن يفوت أحد المسيحيين، إدراك هذا الحق. ولكن تكرر ظهور هؤلاء المدّعين بوجود ثلاثة آلهة، على مسرح التاريخ. ومن أشهر هؤلاء (جون اسكوا سناجز القسطنطيني) و(فيلوباناس السكندري)، اللذان عاشا قرب نهاية القرن السادس. لقد اعتقدا بوجود ثلاثة آلهة، لهم نفس الطبيعة، ولكنهم مختلفون ومنفصلون عن بعضهم البعض. ثم جاءت طائفة المورمون الحديثة، فلم تكف بالتعدد إلى ثلاثة آلهة، بل اعتقدت بوجود آلهة كثيرة. وهذا الاعتقاد يسمى: "تعدد الآلهة polytheism".

لو أننا نتذكر الحق المذكور في الفصل الثاني، ونتمسك به، فلن نقع في أي من الضلالتين: "وجود ثلاثة آلهة أو تعدد الآلهة"، ومع ذلك ربما يصدق القول، بأن كثيرين من المسيحيين، يميلون – في أعماق قلوبهم – إلى الاعتقاد في الله بأنه ثلاثة، أكثر من ميلهم إلى الاعتقاد بوحدايته. فهم يسهل عليهم التفكير فيه كثلاثة، أكثر من تفكيرهم فيه، كواحد في ثلاثة وثلاثة في واحد. مثل هؤلاء لا يُنتظر أن يصبحوا

مؤمنين بثلاثة آلهة "Tritheists" بالمفهوم التام، لكنهم يرعوا ضلالة في قلوبهم، تبعدهم عن أن يعتقدوا في الله، كما ينبغي أن يكون، وهذا يعني بكل تأكيد، أن عبادتهم لله وصلواتهم، ليست كما ينبغي أن تكون.

2- التوحيد المحض " Monarchianism :

وهذا هو الفشل في التمسك بوجود ثلاثة اقانيم، كل منهم هو الله. بالإضافة إلى الضلالات التي ظهرت على مر التاريخ، فإن العصر الحاضر يشهد تزايد عدد الأشخاص، والحركات والشيع، الذين يؤمنون بهذا الاعتقاد (التوحيد المحض). فهم يعتبرون أن أقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، أقل من أقنوم الأب. وكثيراً ما تحدثوا عن الابن والروح القدس، على أنهما ليسا الله على الإطلاق. والنقاش محسوم حول هذه القضية، فنحن يجب أن نتمسك بأن الرب يسوع المسيح، هو الله، بنفس الكيفية التي بها الأب؛ فهو مساو للأب في الجوهر وفي السرمدية. ونفس الأمر بالنسبة لأقنوم الروح القدس.

ولقد ظهر هذا الاعتقاد الخاطيء، في بداية القرن الثاني، عند ظهور "الغنوسيين" والذين اعتقدوا بأن الله، جوهر واحد وأقنوم واحد، ومنه انبثق كائنان إلهيان أقل منه، وذلك ليتعامل مع العالم بواسطتهما. هذان الكائنان أطلق عليهما "aeons"، والمسيح هو من أعظم هذه الكائنات. في نفس هذه الفترة الزمنية وُجدت طائفة "الإبيونيت Ebionites"، التي أعلنت بأن المسيح هو مجرد إنسان عادي، وأن الروح القدس، ما هو إلا تأثير إلهي مجرد. وهذا هو نفس الاعتقاد، الذي تبنته طائفة تدعى "السوسينانيون Socinians"، التي انتشرت في أوروبا خلال القرن السادس عشر، وأيضاً طائفة "المتوحدّين Unitarians". ولازال هذا الاعتقاد موجوداً، حتى عصرنا هذا. وخلال القرن التاسع عشر، حينما بدأ الهجوم على الكتاب المقدس، وأنكرت معجزاته، امتدت نفس هذه المعتقدات، إلى كل المذاهب الرئيسية تقريباً. فمازال هناك عدد كبير من الرعاة المتحررين "Liberal" أو العصريين، الذين يؤمنون بنفس هذا الأسلوب.

وأحد أكثر الضلالات خطورة، ظهرت في بداية القرن الرابع، بقيادة القس أريوس السكندري. فلقد أكد أن الله اقنوم واحد أزلي، خلق على صورته أسمى مخلوقاته: "الذي هو ابنه الوحيد"، قبل أن يعمل أي شيء، وبهذا فإن أريوس يؤمن بأن ألوهية الابن ثانوية، وأنه ليس ابناً أزلياً لله، وأنه ليس هو الله بنفس المعنى الذي للآب. وبواسطة الابن، عمل الله كل الأشياء. والابن هو الذي أصبح فيما بعد إنساناً، في شخص يسوع الناصري. وكان الروح القدس، هو أعظم وأول المخلوقات، التي خلقت بواسطة ابن الله، وهو بدوره أقل من الابن من حيث الإلوهية.

انقضى زمن طويل، بدا وكأن تعاليم أريوس هذه ستهزم الكنيسة في كل العالم، غير أن أثناسيوس وحده، وقف ضد أريوس، محتكماً إلى كل من تمسكوا بتعاليم الحق الكتابي، وإيمان المسيحيين الأوائل. ومن رحمة الله، انتصر الحق الكتابي. يجب ملاحظة، أن بدعة أريوس هذه لم تمت تماماً، فقد عاودت ظهورها من وقت إلى آخر، على مر العصور والتاريخ. إن هؤلاء الذين يسمون أنفسهم "شهود يهوه"، ما هم إلا شكل جديد لبدعة أريوس، لكنهم بخلاف أريوس، فهم لا يؤمنون بألوهية اقنوم الروح القدس، بأي شكل من الأشكال؛ لذا يجب علينا أن نحترس دائماً لأنفسنا، من هذه الضلالات التي مازالوا، هم وغيرهم يحاولون نشرها.

ولم يكن لأريوس أن يحظى بمثل هذا التأثير، لولا ظهور اوريجين "Origen" (185 – 255م)، الذي مهّد الطريق لبدعة أريوس عن غير قصد، وذلك عن طريق أحد آرائه، الذي لاقى قبولاً عظيماً. فقد اعتقد بأن الابن كائن إلهي مجيد، لكنه ليس في مكانة الله الآب، وأن الروح القدس في مكانة أقل من الابن. بذلك فلقد زرع بذار الاعتقاد، بأنه يوجد رتب أو درجات في اللاهوت، مما ساعد أريوس، أن يخطو خطوة أخرى أبعد من ذلك. وقد عُرف هذا الاعتقاد فيما بعد باسم: "نصف الأريوسية Semiarrianism". وقد دُفع بهذه العقيدة بقوة في مجمع نيقية، بواسطة أسابيوس من قيصرية وأسابيوس النيقوميدي. لقد اتفق بعض أتباع نصف الأريوسية مع أريوس، على الاعتقاد بأن الروح القدس، هو أول مخلوقات الابن، ولكن الأغلبية اعتقدت بأنه مجرد قوة أو تأثير إلهي.

إن الخطأ الذي وقع فيه اوريجين، يرجع غالباً إلى تعاليم "ترتليان" (حوالي 160-240م)، وبالرغم من انه استخدم مصطلح "الثالوث"، إلا أن تعاليمه لم تكن تخلو من الانطباع بان الابن، له مكانة إلهية أقل من الأب. إن الخطأ الذي وقع فيه، أقل بكثير إذا ما قورن بأخطاء الذين تبعوه، ولكنه يظهر لنا أهمية أن نكون محددين فيما نقول، في موضوع "الثالوث". إن خطأه والأخطاء الأخرى المذكورة في هذا الفصل، يمكن تفاديها، إذا ما تذكرنا الحق الذي تحدثنا عنه، في الفصول الثالث إلى الخامس، والسابع والثامن من هذا الكتاب، وتمسكنا به. لنتذكر أيضاً الحق الموجود في (كو: 9 ، أع 5 : 3 - 4).

3- الانتحالية Modalism :

ويقصد بها الفشل في الاعتقاد، بأن الثلاثة اقانيم في اللاهوت، كل منها متفرد بخصائص أقنومية. وحتى الأريوسيين، احتفظوا بفكرة وجود ثلاثة اقانيم في اللاهوت. لكن في بعض الأحيان، كان يظهر من يضحون بهذه الفكرة تماماً. فإنهم متمسكون جداً بالإيمان بأن الله إله واحد، لدرجة أدت إلى ضلالة رفضهم لقبول فكرة وجود ثلاثة اقانيم متفردة، كل منهم هو الله. فبحسب اعتقادهم، فإن الله اقنوم واحد، وهو مثل الممثل، الذي يلعب ثلاثة أدوار مختلفة. فهو يظهر ببراعة، كالأب والابن والروح القدس. وعندما يلعب أحد الأدوار، فهذا معناه غياب الاقنومين الآخرين. وبسبب الاعتقاد بأن الله يظهر فقط بحالات مختلفة، فقد سُمي هذا الاعتقاد باسم: "الانتحالية modalism".

ظهرت "الانتحالية" في عدة أشكال مختلفة. وأول ما ظهرت هذه العقيدة، ظهرت عن طريق "براكسياس Praxeas" من آسيا الصغرى، في بداية القرن الثالث. ولكن أشهر المؤيدين لهذه العقيدة، هو القس "سابليوس" من بتولمايس الذي عاش حتى حوالي منتصف القرن الثالث؛ ولهذا فإن هذه الضلالة يطلق عليها أحياناً "السابليوسية". لقد اعتقد أن الإله الواحد الأزلي، أخذ لقب الله الأب. وعندما خلق الكون، وحلّ بعد ذلك بيننا كإنسان، أخذ لقب الله الابن. والآن هو يعمل مباشرة داخل حياة الناس، فهو يحمل لقب الله الروح القدس. هذا التعليم معناه ان الله الأب هو الذي

تألم على الصليب. ولذلك فإن السابليوسيين يُعرفوا أحياناً باسم "الباترباشيونيين"، أي الذين يعلموا بأن الآب تألم.

ولقد جاءت هذه الضلالة إلى الوجود ثانية، مرات عديدة في القرون القليلة الماضية، خاصة في كتابات بعض الفلاسفة الأوروبيين، الذين اختبروا نوعاً من التأثير المسيحي. هذه الضلالة غير شائعة هذه الأيام، ولكنها مازالت موجودة. فعلى سبيل المثال، في محاولة شرح الثالوث للأخرين، نجد المسيحيين يشيرون إلى أن مركب الماء (H₂O) يمكن أن يظهر في صورة ثلج أو ماء أو بخار. ولكن هذا التشبيه ينحرف عن الحق الكتابي. فبداية، هذا التعليم لا يحوي ضمناً أن الله روح. ولكن الضلال الأخطر من ذلك، هو أن هذا التعليم يعطي الانطباع، بأن الثالوث ليس أكثر من أنه، نفس الإله، لكنه يظهر في أشكال مختلفة. ولقد أوضحنا مسبقاً، أنه لا يجب استخدام أي نوع من التشبيهات لوصف الثالوث. فنحن لا يجب أبداً أن نوجد له تشبيهات، وسأكون واضحاً في ذكر السبب.

أحياناً تظهر "السابليوسية" في صلاة شخص مسيحي، فعادة يبدأ في الصلاة إلى الله الآب، ثم بعد ذلك يشكره على موته على الصليب. فهو بذلك يقع في خطأ، أن ينسب للآب، ما يجب أن ينسبه للابن. ثم بعد ذلك نجده يشكر الآب على سكناه داخله، وهو ما يجب أن ننسبه فقط إلى الروح القدس. لكننا نشكر الله، لأنه لا يصغي إلى ما نتنطق به ألسنتنا، إنما ينظر إلى قلوبنا. كما أن شفاعة المسيح، تضمن لنا وصول صلواتنا إلى السماء، بغير أخطاء. لكن الخطر يكمن أن تكون لدينا أفكار خاطئة عن الله. وإذا كانت هذه الصلوات علنية أمام جمهور، فمن المحتمل أن تضر هؤلاء السامعين. إن الطريق لمقاومة "السابليوسية"، هو أن نتذكر ونؤمن، بالحقائق التي جاءت في الفصل السادس والعاشر من هذا الكتاب، وأن نتذكر بصفة خاصة، قصة معمودية الرب يسوع المسيح، التي جاءت في (مت: 3: 13 - 17)، حينما ظهرت وتجلت أقانيم اللاهوت الثلاثة معاً وفي نفس الوقت.